جميل التحبير في بيان أسس سورة التكوير

إعداد

أ.د/ علي بن حميد مسلم السناني

أستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن، كلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

مجلة الدراسات التربوية والانسانية. كلية التربية. جامعة دمنهور
المجلد السادس عشر، العدد الثاني (أبريل) - الجزء الثاني، لسنة 2024

جميل التحبير في بيان أسس سورة التكوير

أ.د/ علي بن حميد مسلم السناني[1]

ملخص:

تضمن القرآن الكريم حقائق عدة ومرتكزات مهمة، لا يكمل الإيمان إلا بها،كحقيقة البعث والجزاء والحساب، وعدل البارئ تبارك وتعالي، وغيرها، وقد اختلف الأسلوب في عرض وإثبات تلك الحقائق والمرتكزات، بين الإيجار والتطويل، فكما اختصت السور المكية بالاهتمام بالأمور العقدية وقضايا التوحيد، والبعث بعد الموت ومجادلة الجاحدين والشاكين في أمور البعث والجزاء، وإقامة الحجج والبراهين؛ لإبطال ودحض ما تمسكوا به من الحجج الباطلة، فإن للسور المدنية مجالها وعنايتها واهتمامها بالقضايا الاجتماعية، وتقرير الأحكام وقضايا الأسرة والمعاملات والعلاقات، وغير ذلك، وإن سورة التكوير من السور التي حوت بين دفيتها جملة من القضايا العقدية المختلفة، وشملت التأكيد على مرتكزات مهمة من أظهرها: تأكيد حقيقة البعث، وعرض جملة من أهوال يوم القيامة ومقدماته وبيان بعض ما يعترى الناس حين ذلك من الهول والفزع لما يرونه من أهوال،كما أكدت على العدل الإلهي وبناء الثقة برسولي الوحي جبريل ومحمد عليهما السلام، ونفي المطاعن عن النبي صلي الله عليه وسلم، والقرآن الكريم، والتأكيد علي مذهب أهل السنة والجماعة في مشيئة العبد، وأنها تابعة لمشيئة البارئ جل وعلا، وغير ذلك من القضايا المهمة التي عرضت لها هذه السورة المباركة، فأحببت أن أحبر خلاصة لما تضمنته في هذه العجالة. ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن سورة التكوير مع وجازتها وقلة آياتها فإنها قد تضمنت خلاصة قيمة لمجمل القضايا التي جاءت متفرقة في سور وآيات الكتاب العزيز، ومن ذلك التأكيد على قدرة الله تعالى الباهرة بتغيير ملامح الكون، ووقوع القيامة بلا ريب، وأن الراجح في المراد بحشر الدواب هو بعثها يوم القيامة للقصاص فيما بين بعضها البعض، وبتسجير البحار هو إيقادها ناراً، وأن الراجح في المنفي عن نبينا محمد صلى الله عليه وسلم بقوله: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)، هو نفي التهمة عنه بكتم شيء من الوحي.

الكلمات المفتاحية: التحبير، سورة التكوير، البعث والنشور، قضايا التوحيد، تفسير القرآن الكريم.

---

[1] أستاذ بقسم التفسير وعلوم القرآن بكلية القرآن الكريم بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية

البريد الالكتروني: **dr.alialsenani82@gamil.com**

gamil al–tahbir in the statement of the foundations of Surat Al–Takwir

Prof. Dr. Ali bin Humaid Muslim Al–Sanani

Professor in the Department of Interpretation and Qur'anic Sciences، College of the Holy Qur'an، Islamic University of Medina،Kingdom of Saudi Arabia

dr.alialsenani82@gamil.com

Abstract:

Beautiful writing in explaining the foundations of Surat Al-Takwir The Holy Qur'an contains several important truths and foundations، without which faith is not complete، such as the truth of resurrection، recompense، and reckoning، and the justice of the Creator، Blessed and Exalted be He، and others. The style of presenting and proving these truths and foundations has differed، between lengthy and lengthy، just as the Meccan surahs specialize in paying attention to doctrinal matters and issues of monotheism. And resurrection after death، and arguing with the deniers and doubters regarding matters of resurrection and recompense، and establishing arguments and proofs; To invalidate and refute the false arguments they cling to، the civil surahs have their scope، care، and concern for social issues، deciding rulings، family issues، transactions، relationships، and other things. Surat al-Takwir is one of the surahs that contained within its depths a number of different doctrinal issues، and included emphasis on important foundations، the most apparent of which are Confirming the reality of resurrection، presenting a number of the horrors of the Day of Resurrection and its preludes، and explaining some of the terror and fear that people will feel at that time due to the horrors they see. It also emphasized divine justice and building trust in the two Messengers of revelation، Gabriel and Muhammad، peace be upon them، and denying accusations against the Prophet، may God bless him and grant him peace. And the Holy Qur'an، and the emphasis on the doctrine of the Sunnis and the community regarding the will of the servant، and that it is subordinate to the will of the Creator، the Almighty، and other important issues that were presented in this blessed Surah، so I wanted to write a summary of what it included in this summary. Among the most important findings of the research: Surah Al-Takwir، despite its brevity and few verses، included a valuable summary of all the issues that came separately in the surahs and verses of the Holy Book، including the confirmation of the amazing ability of God Almighty to change the features of the universe، and the occurrence of the Resurrection without any doubt، and that the most likely opinion is What is meant by cramming animals is sending them on the Day of Resurrection to retaliate among each other، and by scorching the seas is to kindle them with fire، and the most correct opinion regarding the exile on the authority of our Prophet Muhammad، may God bless him and grant him peace، when he said: (And he is not over the unseen with any resentment)، is to negate the accusation against him of concealing some of the revelation.

Keywords: Al-Tahbir، Surat Al-Takwir، Resurrection and Resurrection، Issues of Monotheism، Interpretation of the Holy Qur'an.

المقدمة:

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون، وأنزل عليه كتاباً متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله، ألا بذكر الله تطمئن القلوب، أحمده سبحانه أن خصّنا بالقرآن العظيم والنّور المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له، علّم القرآن، وجعله معجزة خاتم أنبيائه باقية ما بقي الزمان، وأشهد أنّ سيّدنا محمداً عبد الله ورسوله الصادق الوعد الأمين، المؤيد بهذا القرآن العظيم ﷺ، وعلى آله وصحبه الغر الميامين، وعلى من سار على نهجهم وسلك طريقهم إلى يوم الدين وسلم تسليماً دائماً وافراً أما بعد:

فإن العلماء قد عنوا بالقرآن عناية بالغةً من جميع جوانبه، فنهم من عني بحل ألفاظه وبيان معانيه وأحكامه، ومنهم من عني بمعرفة ناسخه ومنسوخة، وخاصة وعامة، ومنهم من كتب في أسباب نزوله، ومنهم من عني بذكر بلاغته وإعجازه، ومنهم من تناول المسائل العقدية التي قامت عليها الأدلة من هذا الكتاب المبارك. . . فكتبوا في ذلك الكثير مما يعجز القلم عن حصره، وعنوا بها عناية فائقة ، وحُق لهم هذه العناية فإن علوم القرآن أشرف العلوم وأفضلها، ودراستها والعكوف على أسرارها ومعانيها تعطي المسلم ذخيرةً تنفعه في عاجله وآجله، لذلك فإن من الخير بالمؤمن أن يوجه اهتمامه ويجند طاقاته وإمكاناته لدراسة ما تيسر من هذه العلوم النافعة، بغية الإفادة لنفسه ثم إفادة إخوانه المسلمين، ولم يترك الكتاب العزيز شيئاً من أمور الدنيا والدين إلا بينه ووضحه أتم بيان، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ۚ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ [النَّحل : ٨٩] ﴾ ولا شك أن الاشتغال بكتاب الله تعالى وتفسيره وبيانه شرف عظيم، ومغنم جسيم لمن هيأ الله له أسبابه، ورزقه الإخلاص في طلبه ، ذلك أن نور الوحي يضيء للأمة طريقها ويعالج مشاكلها ، ويمهد لكمالها في العاجل والآجل ،لذلك فإن خير الناس من جعل القرآن همته وغاية مطلبه قال ﷺ: "خيركم من تعلم القرآن وعلمه"([2])، وجعل الله تعالى كتابه شفاء لكل داء وبلاء في الأفهام والأجساد، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ (يونس: 57)، وهذا الشفاء لن

([2]) أخرجه البخاري في صحيحه– كتاب فضائل القرآن– باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه– حديث رقم (5027), 6/ 192.

يتحصل عليه إلا من التزم بشرطه، الذي هو التدبر، قال تعالى: ﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ (ص: 29)، وقد تضمن هذا الكتاب المبارك حقائق عدة ومرتكزات مهمة لا يكمل الإيمان إلا بها، كحقيقة البعث والجزاء والحساب، وعدل البارئ تبارك وتعالى، وغيرها، ثم قد اختلف أسلوب القرآن الكريم في عرض وإثبات تلك الحقائق والمرتكزات، بين الإيجاز والتطويل والإسهاب، فكما اختصت السور المكية بالاهتمام بالأمور العقدية وقضايا التوحيد، والبعث بعد الموت ومجادلة الجاحدين والشاكين في أمور البعث والجزاء وإقامة الحجج والبراهين لإبطال ودحض ما تمسكوا به من الحجج الباطلة ، فكذلك فإن للسور المدنية مجالها وعنايتها واهتماماتها بالقضايا الاجتماعية وتقرير الأحكام وقضايا الأسرة والمعاملات والعلاقات، وغير ذلك، ثم قد درج القرآن الكريم على عرض الموضوع الواحد والتأكيد عليه في عدة سور وآيات مختلفة، مازجاً بين التطويل والاختصار والإطلاق والتقييد ، ولا ضير فالقرآن يكمل بعضه بعضا، ويفسر بعضه بعضاً، ورغم عرض جملة من القضايا بشكل متكرر ومستمر كقصص الأنبياء مع أممهم وآدم مع إبليس ومحاجة أهل الكتاب والمشركين وقضايا النفاق، إلا أن هذا التكرار كما قُصد منه التأكيد ، فإنه كذلك دل على قدرة بلاغية فائقة من خلال التأمل في أفانين العرض المختلفة للموضوع الواحد ، فسبحان من أعجز بهذا القرآن أساطين البلغاء وتحداهم بأن يأتوا بآية منه: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ٨٨﴾ (الإسراء 88)، هذا وقد رأيت أن سورة التكوير من السور المباركة التي حوت بين دفتيها جملة من القضايا العقدية المختلفة، وشملت التأكيد على مرتكزات مهمة من أظهرها تأكيد حقيقة البعث وعرض جملة من أهوال يوم القيامة ومقدماته، وبيان بعض مما يعتري الناس حين ذلك من الهول والفزع لما يرونه من أهوال، كما أكدت على العدل الإلهي، وبناء الثقة برسولي الوحي جبريل ومحمد عليهما السلام، ونفي المطاعن عن النبي ﷺ والقرآن، والتأكيد على مذهب أهل السنة والجماعة في مشيئة العبد وأنها تابعة لمشيئة البارئ جل وعلا، وغير ذلك من القضايا المهمة التي عرضت لها هذه السورة المباركة، فأحببت أن أحبر خلاصة لما تضمنته السورة تحت عنوان: **"جميل التحبير في بيان أسس سورة التكوير"**.

- **أولاً: أهمية الموضوع:**

أنه يتعلق بموضوعات القرآن الكريم التي قد أناط الله تعالى به الخيرية والنجاح والفلاح للأمة إن هي أخذت به، وحكّمته في جميع شئونها ، فإنه بلا ريب يمهد لكمالها، وهو السبيل الأوحد للارتقاء

والرفعة بها ، والعلاج الناجع لحل مشاكلها عاجلاً وآجلاً، إذا قال عنه ربه ومنزله :﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (البقرة: ٢)،وقال﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾﴾ [الإسْرَاء : ٩] وقال تعالى ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾﴾ (الإسراء: ٨)، وغير ذلك من الآيات التي فيها التأكيد على عظم شأن هذا الكتاب المبارك.

وتتجلى أهمية هذا الموضوع تتجلى من جهة أنه محاولة لإبراز جملة من القضايا المختلفة التي عرض لها القرآن الكريم في سور شتى وبطرائق عرض مختلفة، لتكون سهلة التناول لعموم المسلمين وللمختصين في مجال التفسير بشكل خاص.

○ **ثانياً: سبب اختيار الموضوع:**

من الأسباب التي دعتني للكتابة في هذا الموضوع ما يلي:

1) الرغبة في الاشتغال بتفسير القرآن الكريم، فإن شرف هذا العلم المبارك من شرف موضوعه وهو كلام البارئ جل وعلا ، ولا ريب أن الاشتغال ببيان كلام الله تعالى من أنبل الغايات، وأجل المهمات.
2) إبراز جهود مفسري السلف –رحمهم الله تعالى– في هذا المجال، والاستفادة من طريقتهم في التفسير وعرض المسائل المختلفة، وإيضاح الحق بدليله من الكتاب والسنة، والرد على المخالف بكل موضوعية وإنصاف، إلى غير ذلك من الفوائد الكثيرة المجنية من بحث هذا الموضوع بإذن الله.
3) محاولة لم شتات الكثير من المواضيع التي عرضت لها سورة التكوير والخروج بخلاصة نافعة مختصرة لتلك الموضوعات، تفي بالغرض للوقوف على الفائدة المرجوة بإذن الله.

○**ثالثاً: الدراسات السابقة:**

هذه السورة كغيرها من سور القرآن الكريم قد تناولها المفسرون رحمهم الله تعالى، فكل قد أدلى بدلوه ما بين مختصر ومسهب، لكن الغالب على مناحي المفسرين أنهم إنما يولون المسائل التي وردت في صدر القرآن وخاصة في السبع الطوال مزيد بحث ، ثم يحيلون غالبا إلى ما تقدم من مواضيع إذا جرى التعرض لها في باقي سور القرآن الكريم، ولم أقف حسب اطلاعي على مؤلف خاص بسورة التكوير

بتناول موضوعاتها بشكل موسع، اللهم إلا إسهامات بسيطة عبر الشبكة العنكبوتية لا ترقى أن تكون عملا بحثياً متكاملاً، وإنما يستأنس بها ولا يعتمد عليها.

○**رابعاً: خطة البحث:**

وقد قسمت البحث إلى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، وخاتمة، وذلك كما يلي:

أما المقدمة: فقد تناولت فيها أهمية الموضوع وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وخطة البحث، ومنهجه.

وأما التمهيد: فقد اشتمل على مقدمة حول عن سورة التكوير، وعدد آياتها، ومكان نزولها وما جاء في فضلها، وما ورد عن المفسرين فيما ذُكر في صدرها متى يكون وقوعه قبل القيامة أم بعدها.

المبحث الأول: تفسير السورة الكريمة مجملاً، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: مفردات وغريب السورة الكريمة.

المطلب الثاني: العرض الإجمالي لآيات لسورة الكريمة.

المبحث الثاني: الأسس التي اشتملت عليها السورة، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنبيه على عظمة الله وتأكيد وقوع يوم القيامة.

المطلب الثاني: الثناء على رسولي الوحي عليهما السلام.

المطلب الثالث: التأكيد على مهمة نبينا ﷺ والدفاع عنه.

المطلب الرابع: القول الفصل في المشيئة.

المبحث الثالث: المسائل الخلافية في السورة، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الخلاف في المراد بتكوير الشمس.

المطلب الثاني: الخلاف في المراد بحشر الدواب.

المطلب الثالث: الخلاف في المراد بتسجير البحار.

المطلب الرابع: الخلاف في المراد بالخنس الجوار الكنس.

المطلب الخامس: الخلاف في المراد بقوله (ضنين).

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

خامساً: منهج كتابة البحث:

1) كتابة الآيات القرآنية الواردة في الفصول والمباحث بالرسم العثماني ما أمكن مع الإشارة إلى رقم الآية واسم السورة في المتن.
2) التعريف بالمفردة اللغوية بالرجوع إلى معاجم اللغة والغريب، وقد استأنس بكلام بعض المفسرين في شرح المفردة اللغوية ، كالطبري وأبي حيان رحمهما الله تعالى.
3) التوثيق العلمي من خلال الرجوع إلى الكتب المعتبرة، والدقة في نقل كلام المفسرين مع التركيز على الرجوع إلى المراجع المتقدمة، وإلى كتب المتأخرين عند الحاجة، والرغبة في زيادة الإيضاح.
4) الدقة في نقل كلام المفسرين، والإشارة إلى ما تصرفت فيه من كلامهم إذا وجد.
5) لم أتوسع في عرض الموضوع خارج كتب التفسير، خشية الإطالة وتشعب الموضوع، وقد كان في كلامهم رحمهم الله ما يكفي للمقتصد.
6) تخريج الأحاديث والآثار من خلال الرجوع إلى كتب السنة المعتبرة، فما كان في الصحيحين أو في أحدهما خرجته منهما، وما لم يكن فيهما فإنني أذكر كلام النقاد المعتبرين حول تلك الأحاديث صحة وضعفاً، وقد أستأنس بكلام بعض المحققين المشهورين.

التمهيد:

مقدمة حول السورة المباركة

هذه السورة المباركة سورة التكوير ترتيبها (81) بين سور القرآن الكريم، وهي مكيّة، وآياتها تسع وعشرون آيةً.

أولاً: مناسبتها لما قبلها:

قال البقاعي –رحمه الله–: ما ختمت سورة عبس بوعيد الكفرة الفجرة بيوم الصاخّة لجحودهم بما في هذا القرآن من التذكرة، ابتدأت هذه بإتمام ذلك، فصوِر ذلك اليوم بما يكون فيه من الأمور الهائلة من عالم الملك والملكوت حتى كأنه رأي عين، كما رواه الإمام والترمذي وغيره عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «من أحب أن ينظر إلى يوم القيامة رأي العين فليقرأ {إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ}» [التكوير: 1](3).

ثانياً: فضلها:

أخرج الإمام أحمد والترمذي وحسنه والحاكم وصححه عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ إذا الشمس كورت، وإذا السماء انفطرت، وإذا السماء انشقت»(4).

وروى الثعلبي عن أبي – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، أعاذه الله أن يفضحه حين تنشر صحيفته»(5).

ومما جاء في فضلها أيضاً ما جاء عن الحسن البصري –رحمه الله–: والله ما شاءت العرب الإسلام حتى شاء الله تعالى لها(6).

---

(3) نظم الدرر 21/ 275, وتخريج الحديث في الذي بعده.

(4) أخرجه الترمذي باب ومن سورة: إذا الشمس كورت 5/ 433 (3333), وصححه الألباني والحاكم 4/ 620, وصححه وأحمد: 4806 و 4934 مسند عبدالله بن عمر.

(5) أخرجه الثعلبي والواحدي وابن مردويه بإسنادهم إلى أبي بن كعب, قال الزيلعي: 4/ 164:رَوَاهُ الثَّعْلَبِيّ مسندا عَن أبي أُمَامَة عَن أبي بن كَعْب , وَرَوَاهُ ابْن مرْدَوَيه فِي تَفْسِيره بسنديه فِي آل عمرَان, وَرَوَاهُ الواحدي فِي الْوَسِيط بِسَنَدِهِ فِي يُونُس1280 – وذكره الوسيط للواحدي 4/ 427.

ثالثاً: ما ورد عن المفسرين عن مقدمات السورة:

اختلف المفسرون في مقدمات هذه السورة، أي ما ورد بقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦﴾ [التَّكۡوِير : ١ - ٦]، هل هذا إنما يكون في أواخر أمد الدنيا، أم أن ذلك إنما يكون ويبرز يوم القيام بعد البعث والقيام لرب العالمين، فمع أن هذه المسألة سكت عنها أغلب المفسرين، لكن مدلول الآثار يرجح أن ذلك كائن في أواخر أمد الدنيا قبل البعث من القبور، كما أخرج الطبري –رحمه الله– وغيره عنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ إِذَا ذَهَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ وَاخْتَلَطَتْ، فَفَزِعَتِ الْجِنُّ إِلَى الْإِنْسِ وَالْإِنْسُ إِلَى الْجِنِّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ، فَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ قَالَ: اخْتَلَطَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ أَهْمَلَهَا أهلها، وإذا البحار سجرت...([7]).

وحكى البغوي عن ابن عباس أيضا قال: هي اثنتا عشرة خصلة ستة في الدنيا، وستة في الآخرة ([8])، فهذا يدل على أن وقوع تلك الظواهر الكونية والتي ينهال لرؤيتها الناس إنما ذلك في الدنيا، بينما يرى بعض المفسرين أن كل ذلك بعد يوم القيامة، وما ذكر من تعطيل العشار ونحوه أنما هو على وجه التمثيل، قال القرطبي–رحمه الله–: وهذا على وجه المثل، لأن يوم القيامة لا تكون فيه ناقة عشراء، ولكن مثّل هول يوم القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه، فالمعنى: أنه لو كان عشراء لعطلها أهلها واشتغلوا بأنفسهم([9]).

وقال الرازي: يمكن وقوعها في أول زمان تخريب الدنيا، ويمكن وقوعها أيضاً بعد قيام القيامة، وليس في اللفظ ما يدل على أحد الاحتمالين، أما الستة الباقية فإنها مختصة بالقيامة([10]).

([6]) أورده الثعلبي في تفسيره 144/10. وتبعه جمله من المفسرين كالقرطبي 243/19, وابن عادل الحنبلي 20/ 192, وغيرهم.

([7]) أخرجه الطبري: 24/ 237 , وابن أبي حاتم: 10/ 3402, وابن كثير: 8/ 329 موقوفاً على أُبَيّ, وعزاه السيوطي في الدر المنثور: 8 / 427 لابن أبي الدنيا في "الأهوال".

([8]) البغوي: 347/7 .

([9]) تفسير القرطبي: 19/ 228.

([10]) التفسير الكبير: 63/31.

هذا وقد ثبت في صريح السنة أن الشمس والقمر يُكوران يوم القيامة ،كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا "الشمس والقمر مكوران يوم القيامة "([11]) وهذا ربما يتأيد أيضا بما ترجح أن حشر الدواب إنما هو بعثها يوم القيامة للاقتصاص لبعضها من بعض، بينما مدلول ما جاء عن أن ابن عباس ترجمان القرآن، وأبي بن كعب رضي الله عنهم أن ذلك كائن في الدنيا قبل يوم القيامة كما تقدم آنفاً، والعلم عند الله تعالى.

([11]) أخرجه البخاري في صحيحه، باب صفة الشمس والقمر 4/108 حديث رقم (3200).

المبحث الأول

تفسير السورة الكريمة مجملاً

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ۝٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ۝١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ۝١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ۝١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ۝١٤ فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ۝٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ۝٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ۝٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ۝٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ لِّلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ۝٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢٩﴾ (التكوير: ١ – ٢٩)

المطلب الأول: مفردات وغريب السورة الكريمة

قوله تعالى: (كورت) : أي جُمع ضوؤها، ولُفت كما تلف العمامة([12]).

قوله:(انكدرت)، أي: انتثرت وتساقطت، وقال أبو عبيدة:: انكدر فلان انصب، قال العجّاج:

قال العجاج يصف صقرا:

أبصر حرمات فلاة فانكدر ... تقصي البازي إذا البازي كسر

والانكدار: الإسراع، قال ذو الرُّمَّة :

فانصاع جانبُه الوحشيُّ وانكدرت ... يَلْحين لا يأتلي المطلوبُ والطَّلبُ([13]).

(وإذا العشار عطلت): العشار: جمع عشراء، وهي الناقة التي مر لحملها عشرة أشهر، ثم هو اسمها إلى أن تضع في تمام السنة.

([12]) استفدت من البحر المحيط في شرح المفردات إضافة إلى كتب معاجم اللغة والغريب , وانظر المحكم والمحيط الأعظم 7/ 137. (كور) وسيأتي له مزيد بيان في المسائل الخلافية.

([13]) ديوانه 101/1 , وانظر تاج العروس 14/ 23 (كدر), والبحر المحيط لأبي حيان 10/ 412. ومجاز القرآن لأبي عبيدة287/2

التعطيل: التفريغ والإهمال.

(وإذا الوحوش حشرت) الوحوش: جمع وحش، وهو حيوان البر الذي ليس في طبعه التآنس ببني آدم.

سُجّرت: قال في اللسان: سجر: سجره يسجره سجراً وسجوراً، وسجره: ملأه، والمسجور في كلام العرب المملوء([14]).

وقال الزبيدي: والمِسْجُورُ: الموقَدُ والفَارِغُ، والساجِرُ والمِسْجُور: السَّاكِنُ ، والممتلئ، مَعًا والمِسْجُورُ: البَحْرُ الَّذِي ماؤُه أَكثرُ مِنْهُ.

وَلَا يَبعُدُ الْجَمِيع ، وهذا مبنِيٌّ على جَوازِ اسْتِعْمَال المشْتَرَك فِي معانِيه، وَهُوَ مَذْهَب الجُمْهُور.. ([15]).

(وإذا الموءودة سئلت): الموءودة: البنت التي تدفن حية، وأصله من النقل، كأنها تنقل من التراب حتى تموت، ومنه اتئد: أي توقر وأثقل.

(وإذا السماء كشطت): الكشط: التقشير، كشطت جلد الشاة: سلخته عنها.

(فلا أقسم بالخنس، الجوار الكنس) الخنس: جمع خانس، والخُنُوس: الانقباض والاستخفاء ، تقول خنس بين القوم وانخنس.

الكُنّس: جمع كانس وكانسة، يقال: كنس إذا دخل الكناس، والمتحصل من كلام أهل اللغة أن الجوار الكنس له معنيان:

1: النجوم التي تستمر في مجاريها. وتكنِس في مخاويها، أي: مغايبها ومساقطها، وخنوس النجم: أن يخنس بالنهار فلا يرى.

2ويقال: أراد بالجواري الكُنَّس: الظباء والوحش.

قال ابن فارس: (كَنَسَ) الْكَافُ وَالنُّونُ وَالسِّينُ أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، أَحَدُهُمَا يَدُلُّ عَلَى سَفْرِ شَيْءٍ عَنْ وَجْهِ شَيْءٍ، وَهُوَ كَشْفُهُ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ يَدُلُّ عَلَى اسْتِخْفَاءٍ، فَالْأَوَّلُ: كَنْسُ الْبَيْتِ، وَهُوَ سَفْرُ التُّرَابِ عَنْ وَجْهِ أَرْضِهِ، وَالْأَصْلُ الْآخَرُ: الْكِنَاسُ: بَيْتُ الظَّبْيِ، وَالْكَانِسُ: الظَّبْيُ يَدْخُلُ كِنَاسَهُ([16]).

([14]) اللسان: سجر 345/4.

([15]) تاج العروس: سجر 11/ 504.

([16]) معجم مقاييس اللغة: لابن فارس 5/ 141، الصحاح: 3// 971(كنس), جمهرة اللغة: 2/ 856.

(والليل إذا عسس): عسعس، قال الفراء: عسعس الليل وعسس، إذا لم يبق منه إلا القليل، وقال الخليل: عسعس الليل: أقبل وأدبر ، قال المبرد: هو من الأضداد. وقال علقمة بن قرط:

حتى إذا الصبح لها تنفسا ... وانجاب عنها ليلها وعسعسا.

وقال رؤبة: **يا هند ما أسرع ما تعسعسا ... من بعد ما كان فتى ترعرعا.**

البيتان على معنى الإدبار ([17]).

(والصبح إذا تنفس ..): التنفس: خروج النسيم من الجوف، واستعير للصبح، ومعناه: امتداده حتى يصير نهارا واضحا، وقد تَنَفَّسَ الرجل، وتَنَفَّسَ الصُعَداء. وكلُّ ذي رئةٍ مُتَنَفِّسٌ، ودوابُّ الماء لا رِئاتَ لها، وتَنَفَّسَ الصبح، أي تَبَلَّج([18]).

(وما هو على الغيب بضنين): قال ابن فارس: (ضَنَّ) الضَّادُ وَالنُّونُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى بُخْلٍ بِالشَّيْءِ، والظنين: المتهم، فعيل بمعنى مفعول، ظننت الرجل: اتهمته، والظنين: كذلك البخيل والشحيح، وَجَاء فِي الحَدِيث (من شَرّ مَا أُعْطِيَ العَبْدُ شُحَّ هالِعٌ وجُبْن خالِعٌ هالِع)([19]).

قال الشاعر: أجود بمكنون الحديث وإنني ... بسرك عن ما سألتني لضنين([20]).

المطلب الثاني: المعنى الإجمالي للسورة المباركة

بدأ سبحانه هذه السورة الكريمة بذكر يوم القيامة ومقدماته، وما يكون فيه من حوادث عظام، ليفخّم شأنه، وبين أنه حين تقع هذه الأحداث تعلم كل نفس ما قدمت من عمل خير أو شر، ووجدت ذلك أمامها ماثلا، واستبان لها أن الوعيد الذي جاء على ألسنة الرسل كان وعيدا صادقا، لا تهويل فيه ولا تضليل.

(إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)، أي إذا كورت الشمس وأمحى ضوؤها، وسقطت حين خراب العالم الذي يعيش فيه الحيّ في حياته الدنيا، ولا يبقى في عالمه الآخر الذي ينقلب إليه شيء من هذه الأجرام.

([17]) **مختار الصحاح: (عسس) 208/1.**

([18]) **الصحاح نفس 3/ 984, وسيأتي مزيد بيان لمعنى (ضنين)في المسائل الخلافية بإذن الله .**

([19]) **ذكره في المخصص لابن سيدة 1/ 248 خرّجه أحمد 8010 وقال المحقق إسناده صحيح وأبو داوود 3250 في الجهاد وصححه الألباني 2268 وفي صحيح الترغيب والترهيب 2605 وابن حبان 3250 وغيرهم , و المخصص لابن سيده 1/ 248.**

([20]) **مقاييس اللغة : 3/ 357. (ضن).**

(وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ) أي: وإذا النجوم تناثرت وتساقطت.

(وَإِذَا الْجِبالُ سُيِّرَتْ)، أي وإذا الجبال قلعت عن الأرض وسيرت في الهواء حين زلزلة الأرض، نحو ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ [الكَهْف : ٤٧] . وقوله تعالى : ﴿ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ ﴾ [النَّبَأ : ٢٠]).

(وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ) أي ماتت وهلكت، أو بعثت للقصاص ([21]).

(وإذا الْعِشارُ عُطِّلَتْ)، أي وإذا النوق العشار وهى أكرم الأموال لديهم أهملت ولم يعن بشأنها لاشتداد الخطب، وفداحة الهول.

(وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ)، أي فجر الزلزال ما بينها حتى اختلطت وعادت بحرا واحدا وهذا على نحو ما جاء في قوله: (وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ) (الانفطار: ٣)، أو أضرمت ناراً، وحينئذ يصير الماء بخاراً، ولا يبقى إلا النار.

وبعد أن عدد ما يحدث من مقدمات الفناء وبطلان الحياة في الأرض وامتناع المعيشة فيها- أخذ يذكر ما يكون بعد ذلك من البعث والنشور فقال: (وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ)، أي وإذا زوجت الأرواح بأبدانها حين النشأة الآخرة، أو اقترن كل نظير بنظيره، (وَإِذَا الْمَوْؤُدَةُ سُئِلَتْ، بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ؟) أي وإذا سئلت الموءودة بين يدي وائدها عن السبب الذي لأجله قتلت، ليكون جوابها أشد وقعا على الوائد

(وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ)، أي وإذا صحف الأعمال ظهرت للعاملين في موقف الحساب حتى لا يرتابوا فيها.

(وَإِذَا السَّماءُ كُشِطَتْ)، فلم يبق غطاء ولا سماء، ولم يوجد ما يطلق عليه اسم الأعلى والأسفل.

(وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ)، أي وإذا جهنم التي يعاقب فيها أهل الكفر والطغيان أوقدت إيقاداً شديداً.

(وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ)، أي وإذا الجنة أدنيت من أهلها: أي أعدت لنزولهم.

([21]) وسيأتي الخلاف في المسألة ص – ، تقول العرب إذا أضرّت السنة بالناس وأصابتهم بالقحط والجدب، حشرتهم السنة: أي أهلكتهم، وهلاكها يكون من هول ذلك الحادث العظيم.

(عَلِمَتْ نَفْسٌ ما أَحْضَرَتْ) ، أي إذا حصل كل ما تقدم من الأحداث السالفة، تعلم كل نفس ما كان من عملها متقبلا وما كان منه مردوداً عليها.

(فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ. الْجَوارِ الْكُنَّسِ)، أي بالكواكب جميعها، وهى تخنس بالنهار فتغيب عن العيون، وتكنس بالليل: أي تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها وقد أقسم بها سبحانه، لما في حركاتها وظهورها طورا واختفائها طورا آخر من الدلائل على قدرة مصرّفها، وبديع صنعه، وإحكام نظامه.

(وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ)، أي والليل إذا أدبر وولى، وفى إدباره زوال الغمّة التي تغمر الأحياء، بانسدال الظلمة وانحسارها.

(وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ)، أي والصبح إذا أسفر وظهر نوره، وفى ذلك بشرى للأنفس بحياة جديدة في نهار جديد.

ثم ذكر المحلوف عليه فقال: (إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ)، أي إن ما أخبركم به محمد ﷺ من أمر الساعة ليس بكهانة ولا اختلاق، بل هو قول نزل به جبريل وحياً من ربه، وإنما كان قوله لأنه هو الذي حمله إلى النبي ﷺ، وقد وصف هذا الرسول بخمسة أوصاف:

(1) (كَرِيمٍ)، أي عزيز على ربه، إذ أعطاه أفضل العطايا، وهى الهداية والإرشاد، وأمره أن يوصلها إلى أنبيائه ليبلغوها لعباده.

(2) (ذِي قُوَّةٍ)، في الحفظ والبعد عن النسيان والخطأ، وقد جاء في آية أخرى: ﴿ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ [النَّجْم : ٥]

(3) (عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ)، أي ذي جاه ومنزلة عند ربه يعطيه ما سأل.

(4) (مُطاعٍ ثَمَّ)، أي هو مطاع عند الله في ملائكته المقربين، فهم يصدرون عن أمره، ويرجعون إلى رأيه.

(5) (أَمِينٍ)، على وحي ربه ورسالاته، قد عصمه من الخيانة فيما يأمره به، وجنّبه الزلل فيما يقوم به من الأعمال، قال الطاهر ابن عاشور –رحمه الله– والمقصود: من عدّ فضائل جبريل، واقتصار النبي ﷺ على نفي الجنون، ردّ قول الكفرة في حقه ﷺ، كقولهم:إنما يعلمه بشر ، وقولهم : افترى على الله كذبا أم به جنة، لا الموازنة بينهما، ولا تفضيل جبريل على النبي، ثم إنك إذا أمعنت النظر وقفت على أن إجراء تلك الصفات على جبريل في هذا المقام إدماج لتعظيم رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ بلغ من علو المنزلة عند الله تعالى بجعل السفير بينه وبينه تعالى، مثل هذا الملك المقرب ، ولا يخطر بالبال أن الآيات

مسوقة في معرض الموازنة والمفاضلة بين جبريل ومحمد عليهما السلام والشهادة لهما بمزاياهما حتى يشم من وفرة الصفات المجراة على جبريل أنه أفضل من محمد ﷺ، ولا أن المبالغة في أوصاف جبريل مع الاقتصاد في أوصاف محمد ﷺ تؤذن بتفضيل أولهما على الثاني =، وهذا ضعيف، إذا لمقصود رد قول الكفرة في حقه عليه الصلاة والسلام حين رموه بالجنون، والسحر =، وأنه كان يعلمه بشر =، ونحو ذلك لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما ، على أن في توصيف جبريل بهذه الصفات بيانا لشرف سيد المرسلين بالنسبة إليه من حيث إن جبريل مع هذه الصفات هو الذي يؤيده ويبلغ الرسالة إليه، فأي رتبة أعلى من مرتبته بعد ما ثبت أن السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب([22])، وقد تواترت النصوص من الكتاب العزيز في غير هذه السورة ببالغ الثناء والتبجيل على رسولنا محمد ﷺ، بما يربو على ما وصف به جبريل عليه السلام في هذه السورة، وبعد أن وصف الرسول وصف المرسل إليه فقال: (وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ)، أي وليس محمد ﷺ بالمجنون كما كانت ترميه قريش بذلك ، وفي التعبير (بِصاحِبِكُمْ) استدلال عليهم، وإقامة للحجة على كذبهم في دعواهم، فإنه إذا كان صاحبهم، وكانوا قد خالطوه وعاشروه، وعرفوا عنه ما لم يعرفه سواهم من استقامة ، فلم يكن ادّعاؤهم عليه ما يناقض ذلك إلا باطلا من القول وزورا.

(وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ)، أي وإن محمداً ﷺ رأى جبريل بالأفق الأعلى، وقد تمثل له جبريل في مثال يظهر ويبصر، فتجلى لعينيه، وأعلم أنه جبريل فعرفه.

(وَما هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)، أي وليس محمد بالمتهم على القرآن وما فيه من قصص وأنباء وأحكام، بل هو ثقة أمين لا يأتي به من عند نفسه، ولا يبدل منه حرفا بحرف، ولا معنى بمعنى، إذ لم يعرف عنه الكذب في ماضي حياته، فهو غير متّهم فيما يحكيه عن رؤية جبريل وسماع الشرائع منه.

ثم نفى عنه فرية أخرى كانوا يتقوّلونها عليه فقال:(وَما هُوَ بِقَوْلِ شَيْطانٍ رَجِيمٍ)، أي وما هذا الذي يتكلم به محمد بقول ألقاه الشيطان على لسانه حين خالط عقله كما تزعمون، فإنه قد عرف بصحة العقل، وبالأمانة على الغيب.

(فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ) أي فأيّ سبيل تسلكونها وقد سدّت عليكم السبل، وأحاط بكم الحق من جميع جوانبكم، وبطلت مفترياتكم، فلم يبق لكم سبيل تستطيعون الهرب منها.

([22]) التحرير والتنوير: **158/1**.

ثم بيّن حقيقة القرآن فقال: (إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعالَمِينَ)، أي وما هذا القرآن إلا عظة للخلق كافة يتذكرون بها ما غُرز في طباعهم من حب الخير، وإنما أنساهم ذكره ما طرأ عليهم بمقتضى الإلف والعادة من ملكات السوء التي تحدثها أمراض البيئة والمجتمع، والقدوة السيئة.

ثم بيّن أنه لا ينتفع بهذه النظم كل العالمين فقال: (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ)، أي إنه ذكر يتذكر به من وجّه إرادته للاستقامة على جادّة الحق والصواب أما من انحرف عن ذلك فلا يؤثر فيه هذا الذكر ولا يخرجه من غفلته، قال ابن عاشور– رحمه الله–: وفي هذه الآية إفصاح عن شرف أهل الاستقامة بكونهم بمحل العناية من ربهم إذ شاء لهم الاستقامة وهيأهم لها، واعلم أن الاستقامة لفظ جامع لجميع الأحكام، فعن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحداً بعدك وفى رواية غيرك قال عليه الصلاة والسلام: "قل آمنت بالله ثم استقم"([23]).

(وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ)، أي إن إرادتكم الخير لا تحصل لديكم إلا بعد أن يخلقها الله فيكم بقدرته، الموافقة لإرادته، فهو الذي يودع فيكم إرادة فعل الخير فتنصرف هممكم إليه، ولو شاء لسلبكم هذه الإرادة وجعلكم كالحيوانات لا إرادة لها.

سبب نزول: قوله:(وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)، هو ما أسنده الطبري –رحمه الله–: أن أبا جهل لما نزلت (لمن شاء منكم أن يستقيم)، قال : ذلك إلينا، إن شئنا استقمنا، وإن شئنا لم نستقم، فأنزل الله على إثرها: (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)([24]).

قال ابن كثير –رحمه الله تعالى–: أي ليست المشيئة موكلة إلى الناس، فمن شاء اهتدى ومن شاء ضل، بل ذلك كله تابع لمشيئة الله عز وجل رب العالمين، وقد أرشد عباده إلى الأدب فيما إذا عزم الواحد منهم على شيء ليفعله في المستقبل، أن يرد ذلك إلى مشيئة الله عز وجل، علام الغيوب، قال تعالى ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَـٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾﴾ الكهف (23 ،24)، وكما ثبت في الصحيحين عن أبي

---

(1) انظره بنحوه في التحرير والتنوير 158/1، والحديث: رواه أحمد 19431 و15417 , 15416 والطبراني في الكبير 9398 , والبغوي في شرح السنة 31/1 وابن حبان في صحيحة 5699 وغيرهم , وقال محقق ابن حبان : ورواه مسلم "38" في الإيمان: باب جامع أوصاف الإسلام

(2) تفسير الطبري: 24/ 264.

هريرة، رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة –وفي رواية تسعين امرأة. وفي رواية: مائة امرأة–تلد كل امرأة منهن غلاما يقاتل في سبيل الله، فقيل له –وفي رواية: فقال له الملك–قل: إن شاء الله. فلم يقل، فطاف بهن فلم يلد منهن إلا امرأة واحدة نصف إنسان"، فقال رسول الله ﷺ: "والذي نفسي بيده، لو قال: "إن شاء الله" لم يحنث، وكان دركاً لحاجته"، وفي رواية: "ولقاتلوا في سبيل الله فرسانا أجمعون([25]).

وحاصله :أَنَّ الْمَشِيئَةَ النافذة فِي التَّوْفِيقِ أو غيره إنما هي لله تعالى، وليست موكلة إلى الناس بل ذلك تابع لمشيئة الله عز وجل، وللعبد مشيئة غير نافذة إلا بمشيئة تعالى أن شاء تمكينهم من مشيئتهم، وإقدارهم عليها، والتخلية بينهم وبينها، وإن شاء منعهم منها، لأن ما لم يشأ الله وقوعه من العبد، لا يقع من العبد، وما شاء منه وقوعه وقع، وقد أعلمهم بذلك صريحاً (وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)، وفائدة هذا الإخبار، هو الإعلام بالافتقار إلى الله تعالى، وأنه لا قدرة للعبد.

وفى قوله: «رَبُّ الْعالَمِينَ» بيان لعلة هذا، فإنه لما كان رب العالمين، وهو الذي منحكم كل ما تتمتعون به من القوى كالإرادة وغيرها، وهو صاحب السلطان عليكم- كانت إرادتكم مستندة إلى إرادته، وخاضعة لسلطانه، فلو شاء أن يوجهها إلى غير ما وجهت له توجهت، ولو شاء أن يمحوها محيت، فله الأمر وله الحكم ، وهو على كل شيء قدير([26]).

([25]) صحيح البخاري برقم (5242) رواية المائة، وبرقم (6720) رواية التسعين، وصحيح مسلم برقم (1654), 149/5.

([26]) انظر: تفسير المراغي:62/30.

المبحث الثاني

الأسس التي اشتملت عليها السورة

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التنبيه على عظمة الله وتأكيد وقوع يوم القيامة

تضمنت هذه السورة المباركة التأكيد على جملة من الأسس التي جاء بيانها صريحاً مبثوثاً في كثير من آيات القرآن الكريم في سور متفرقة من سور القرآن الكريم، فجاء التأكيد عليها في هذه السورة ليكون بمثابة التتميم لما سبق، ومن أهم هذه الأسس:

الأساس الأول: بيان عظيم قدرة الله تعالى بتغيير ملامح الكون، فالشمس هذا الكائن الوهاج ينحجب نوره، والسماء المتقنة المثبتة بلا عمد ولا علائق، وهي من أعظم المخلوقات المشاهدة، فرغم ذلك فإنها تتشقق وتتصدع وتُجعل فيها فروجٌ، والكواكب تنثر، والنجوم تنكدر، والبحار تُسجر، والأرض تُدك وتمد كَمَدِّ الْأَدِيمِ، فَلَا يَبْقَى فِيهَا بِنَاءٌ وَلَا جَبَلٌ، والجبال تُنسف وتُسيَّر حتى تكون كالعِهن، وهكذا، فسبحان من له القدرة التامة، والتصرف التام بكونه وملكه بلا منازع.

الأساس الثاني: إثبات وقوع يوم القيامة ومقدماته، وما فيه من أهوال وفزع ومخاوف، وهذا غرض أساس من أغراض هذه السورة ، كما أخرج الطبري –رحمه الله– وغيره عنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: سِتُّ آيَاتٍ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَيْنَمَا النَّاسُ فِي أَسْوَاقِهِمْ إِذَا ذَهَبَ ضَوْءُ الشَّمْسِ، فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ وَقَعَتِ الْجِبَالُ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَتَحَرَّكَتْ وَاضْطَرَبَتْ وَاخْتَلَطَتْ، فَفَزِعَتِ الْجِنُّ إِلَى الْإِنْسِ وَالْإِنْسُ إِلَى الْجِنِّ، وَاخْتَلَطَتِ الدَّوَابُّ وَالطَّيْرُ وَالْوَحْشُ، فَمَاجُوا بَعْضُهُمْ فِي بَعْضٍ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ قَالَ: اخْتَلَطَتْ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ ، أَهْمَلَهَا أهلها ، وإذا البحار سجرت، وقد تقدم الإشارة إلى هذه المسألة في شرح الغريب، وسيأتي لها مزيد بيان في المسائل الخلافية.

الأساس الثالث: عرض مشاهد مما هو حق يقع في يوم القيامة ، يقصد منها الإدانة والتبكيت والتأنيب لغير المسؤول والمجنيّ عليه، ومن ذلك سؤال الموءودة﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾﴾ قال القاسمي –رحمه الله تعالى–: فإن سأل سائل، كيف يصح أن يُسأل من لا ذنب له ولا عقل، فأي فائدة في سؤالها عن ذلك، وما وجه الحكمة فيه؟ والجواب من وجهين:

أحدهما: أن يكون المراد أن قاتلها طولب بالحجة في قتلها، وسُئل عن قتله لها بأي ذنب كان، على سبيل التوبيخ والتعنيف وإقامة الحجة، فالقتلة هاهنا هم المسؤولون على الحقيقة، لا المقتولة، وإنما المقتولة مسؤول عنها.

والوجه الآخر: أن يكون السؤال توجه إليها على الحقيقة، على سبيل التوبيخ للقاتل، والتقريع له، والتنبيه له على أنه لا حجة له في قتلها، ويجري هذا مجرى قوله تعالى لعيسى عليه السلام﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾(المائدة: ١١٦)، إذ الغرض من سؤال الموءودة في الحقيقة قُصد به غيرها، تبكيتا للقاتل وإقامة للحجة عليه ، فإن المجنيّ عليه إذا سئل بمحضر الجاني ونسبت له الجناية دون الجاني، بعث ذلك الجاني على التفكّر في حاله وسوء فعله ، وهذا استدراج على طريق التعريض، وهو أبلغ من التصريح ، والمراد بالاستدراج سلوك طريق توصل إلى المطلوب بسؤال غير المذنب ونسبة الذنب له ، حتى يُبين مَن صدر عنه ذلك ،كما سئل عيسى دون الكفرة، وهو فن من البديع بديع([27]).

قلت : ويدخل في ذلك أيضاً سؤال الرسل عما أجاب به أقوامهم، كما قال تعالى :﴿ **يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ** ﴾ (المائدة: ١٠٩) ، قال في الكشاف: فإن قلت ما معنى سؤالهم؟ قلت: توبيخ قومهم. كما كان سؤال الموءودة توبيخا للوائد ([28]).

الأساس الرابع: إثبات الجزاء على الأعمال إن خيرا فخير، وإن شراً فشر، كما قال تعالى: ﴿ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾﴾ [التَّكْوِير : ١٤]، وهذه الحقيقة أكدها القرآن الكريم أيما تأكيد، كما قال تعالى: ﴿ **يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾** ﴾ (آل عمران: 30)،

([27]) محاسن التاويل9 / ,421, بتصرف.
([28]) الكشاف 1/ 960.

وكما قال تعالى:﴿ ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ (غافر: 17)، وكما قال تعالى: ﴿ مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾ (فصلت: ٤٦)، وكما في قوله تعالى:﴿ مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾ (الجاثية: ١٥)، وكما في قوله تعالى:﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ ﴿٥﴾﴾ (الانفطار: ٥)، والآيات في هذه المعنى كثيرة معلومة، وأن العود والرجوع إليه تعالى، ثم يُوفي تعالى كلا بعمله ﴿ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴾ (الأنفال: ٦٠) لا يُظلمون بنقص حسنة أو زيادة سيئة لم يعملوها، وإيقاف الإنسان على عمله بحسبه وإن كان يفيده قوله تعالى (ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ أَعُوذُ)، فإن الغرض من نشرها قطع احتجاج الناس، كما قال تعالى ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ ﴾، (النساء 165)، فلا يملك الإنسان حينئذ التنصل من عمله فالشهود عدول، جوارحه وملائكة الله، بل والأرض التي يمشي عليها، ثم زاد المولى ذلك تأكيدا بقوله تعالى: ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴿١٤﴾﴾ فليحرص الفطن أن يُضمن صحيفته ما يسره أن يراه غدا حينما تنشر تلك الصحيفة، ويقال له ﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾ [الإِسۡرَاء : ١٤] (الإسراء: ١٤) .

الأساس الخامس: تأكيد وتقرير العدل من خلال الإلهي من خلال توفية الناس أعمالهم بحسبها، وكذلك إقامة الموازين للحكم بالعدل بين خلقه جل وعلا ، كما في قوله تعالى ﴿ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ ﴾ فقد جاء في صريح الآيات الكريمة التأكيد على تولي الله تعالى الفصل بين عباده بالعدل ، كما في قوله تعالى : ﴿ فَٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴾ (البقرة: ١١٣)، وكما في قوله: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (يونس: ٥٤)، وقوله: ﴿ ..... إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (يونس: 93)، وقوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الأنبياء: 47)، ولم يقتصر جل وعلا على الفصل بين الناس يوم القيامة فيما اختلفوا فيه ، والانتصار

للمظلوم من الظالم، وإنما نصب كذلك ميزان العدل للقصاص بين البهائم يوم القيامة ،كما ترجح في بيان المراد من حشر الدواب كما سيأتي في المسائل الخلافية، وأن الحكمة من حشرها القصاص لبعضها من بعض ، قال أبو حيان –رحمه الله تعالى– والظاهر أنه يراد بحشر الدواب البعث يوم القيامة ،وهو قول الجمهور، فتحشر البهائم والدواب والطير، والخلق كلهم يوم القيامة وكل شيء، فيبلغ من عدل الله عز وجل يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني تراباً) فذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ (النبأ: ٤٠)([29]).

المطلب الثاني: الثناء على رسولي الوحي عليهما السلام

ومن أسس هذه السورة المباركة الثناء على رسولي الوحي جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾ ورد المطاعن عنهما، فمن المعلوم أن هذين الرسولين الكريمين قد نِيل منهما ،فلم يسلما من المطاعن، قال تعالى عن جبريل عليه السلام، ﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (البقرة: ٩٧)، فما دام وُجد العداء فسيوجد الطعن وافتعال المعائب، وهذه الآية كما ذكر المفسرون نزلت في اليهود حينما قالوا: إِنَّ جِبْرِيلَ عَدُوُّنَا لِأَنَّهُ أُمِرَ بِجَعْلِ النُّبُوَّةِ فِينَا فَجَعَلَهَا فِي غَيْرِنَا، حكاه البغوي عن مقاتل(2)، وتتابع على ذلك المفسرون بذكر نحوه عن جمع من مفسري السلف، فانتصر الله تعالى لجبريل عليه السلام فقال ردا على من عاداه: (فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ)، أي فمن عاداه فإنه مبطل، إذ لا وجه لعداوته، فما هو إلا رسول من رسل الله ملكي لم يأت إلا بما أمره الله به، وكذلك محمد رسول الله ﷺ قد نيل منه وكالوا له من المطاعن والتهم الباطلة ما برأه الله منه وألقم أولئك المفترين الطاعنين حجراً، والآيات في الدفاع عنه ﷺ كثيرة مما يبين عِظم قدره عند ربه جل وعلا ، ومن ذلك ما جاء في قوله

([29]) البحر المحيط: **4/ 504**.

([29]) معالم التنزيل: **125/1**.

تعالى : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾ (النحل: ١٠٣)، فقوله تعالى: ﴿ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىّ ۥ ﴾ [النَّحل : ١٠٣] نفي للتهمة عنه حتى لا يقولوا تلقاه من غيره، ومما رد تعالى من خلاله مطاعن المعارضين قوله : ﴿ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الإِسْرَاء : ٤٧] (الإسراء: 47)، فعقب تعالى على هذه الفرية بقوله: ﴿ .... فَضَلُّواْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ﴾ [الإِسْرَاء : ٤٨]، ومما جاء به الانتصار للنبي الكريم وقرنه مع جبريل عليهما السلام قوله تعالى: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ (النجم: ١ –٥) ، وكذلك هنا قرن تعالى بين رسولي الوحي مازجا بين الثناء عليهما والدفاع عنهما ، وقد أجاد صاحب الأضواء في الكلام عن سند القرآن الكريم وسبب المبالغة في الثناء على جبريل ، قال : ذلك إنما كان للتأكيد من تمكينه– أي جبريل – من حفظ ما أُرسل به، وصيانته عن التغيير والتبديل، لأنه «مكين»، فلا يصل إليه ما يُخل برسالته، ولأنه «مطاع ثم»، والمطاع لا يؤثر عليه غيره، والأمين لا يخون ولا يبدل، فكان القرآن الذي جاء به مصونا من أن يتسلط أحد عليه فيغيره، ومن أن يغيره الذي جاء به، وهذا كله بمثابة الترجمة لسند تلقي القرآن الكريم، وقوله: ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾: بيان لتتمة السند، حيث قال: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [التَّكْوِير : ٢٣ - ٢٧] ، فنفى عنه – ﷺ– نقص التلقي بنفي آفة الجنون، فهو في كمال العقل وقوة الإدراك، ومن قبل أثبت له كمال الخلق: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم : ٤] (القلم: ٤) ، وأثبت له اللقيا، فلم يلتبس عليه جبريل بغيره، وهي أعلى درجات السند، فاجتمع له – ﷺ– الكمال الخلقي والكمال الخلقي – بضم الخاء وكسرها – أي: الكمال حسا ومعنى،ثم نفى عنه التهمة بأن يضُن بشيء مما أُرسل به مع نفاسته وعلو منزلته وجليل علومه، وأنه كلام رب العالمين([30]).قلت: وقد تأكد بهذا نفي التهمة عن القرآن الكريم، وإثبات أنه

([30]) أضواء البيان: 8/ 447.

كلام الله كلام رب العالمين بتعديل حامليه عليهما السلام، وأنهما في قمة الكمال والجلال وقد التقيا، فلله الحمد والمنة ، والله أعلم بالصواب

المطلب الثالث: التأكيد على مهمة نبينا ﷺ والدفاع عنه

1- من الأسس بيان مهمة النبي ﷺ وهي البلاغ والإنذار وذلك بقوله ﴿ **إِنْ هُوَ إِلا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ** ﴿٢٧﴾ [التَّكْوِير : ٢٧]، وهذا المعنى أيضا تكرر وروده والتأكيد عليه في كثير من آيات الكتاب العزيز، وهو أن مهمة سائر الرسل إنما هي البلاغ والإنذار والبشارة، كما قال تعالى عن هود عليه السلام : ﴿ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ (الأحقاف: ٢٣) ، وكذا الحال لجميع الرسل، إنما أناط الله تعالى بهم البلاغ، وقد قاموا به خير قيام ، أما هداية البشر وقذف الإيمان في قلوبهم إنما ذلك إلى الله تعالى وحده وليس إلى أحد من الخلق ، قال تعالى: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ (البقرة: ٢٧٢)، والآيات في هذا كثيرة معلومة، فنبينا ﷺ كسائر إخوانه المرسلين، ليس مسؤولاً عمن ضل لم ضل، فإن ذلك لم يكن بتقصير منه ﷺ، إنما هو بسبب قضاء قضاه الله تعالى، فكما أنه تعالى يهدي من يشاء فضلا ، فإنه يضل من يشاء عدلاً، فإنه سبحانه لا يسأل عما يفعل ويقضي وهم يُسألون.

2- دفع الافتراء عن نبينا محمد ﷺ وعن القرآن، حتى لا يقال تلقاه من مثله، بل تلقاه من ملك كريم ذي شأن عند ربه ، مطاع أمين، كما تقدم في الذي قبله، وفي السياق تبرئته مما نسبوه إليه من الأباطيل ومن ذلك دفع تهمة الجنون عنه ﷺ، قال في التحرير والتنوير: قوله ﴿ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾: عطف على جملة: (﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ فهو داخل في خبر القسم جوابا ثانيا عن القسم، والمعنى: وما هو (أي القرآن) بقول مجنون كما تزعمون، فبعد أن أثنى الله على القرآن بأنه قول رسول مرسل من الله، وكان قد تضمن ذلك ثناء على النبي ﷺ بأنه صادق فيما بلغه عن الله تعالى، أعقبه بإبطال بهتان المشركين فيما اختلقوه عن النبي ﷺ من قولهم: ﴿ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ [الدخان: 14] وقولهم: ﴿ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾ (سبأ: 8) ، فأبطل بذلك قولهم إبطالا مؤكدا ومؤيدا، فتأكيده بالقسم وبزيادة الباء بعد النفي، وتأييده بما أومأ إليه وصفه بأن الذي بلغه صاحبهم، فإن وصف صاحب كناية عن كونهم يعلمون خلقه وعقله ويعلمون أنه ليس بمجنون، ووصفة

بالصحبة للإشعار بأنهم عالمون بأمره، وبأنه أعقل الناس وأكملهم :﴿ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الأعراف: ١٨٤)، والمعنى: نفي أن يكون القرآن من وساوس المجانين، فسلامة مبلغه من الجنون تقتضي سلامة قوله عن أن يكون وسوسة([31])، وفي قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ دفع لتهمة السحر، فلم يكن عن تخيلات ولا توهمات، وإنما عن رؤيا ولقيا ثابتتين، فقد تُحقق من الموحى به، بإثبات رؤيته ﷺ لجبريل عليهما السلام، متمثلاً له، فبان بذلك أن أمره مبني على مشاهدة وعيان، لا على ظن وحسبان، وما سبيله كذلك فلا مدخل للريب فيه، ولله الحمد والمنة، وفي السياق دفع الزيادة والنقصان في الوحي ﴿ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ أي ببخيل أو متهم.

ويختم بالدعوة للتفكر﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ ، أي أين عقولكم فقد بان الحق في أمره ﷺ وفي الوحي الذي جاء به، فلم يبق بعد ذلك إلا التسليم والانقياد لمن شاء الله له الهداية، أما المعاند المكابر فسيلقى مصيره وعاقبته.

المطلب الرابع: القول الفصل في المشيئة

ومن الأسس الهامة التي جاء التأكيد عليها في هذه السورة المباركة بيان القول الفصل في المشيئة، وأن للعبد مشيئة ولكنها غير نافذة إلا بحسب مشيئة الله تعالى.

واعلم أن الناس في المشيئة طرفان ووسط، منهم من ذهب مذهب الجبر ، وأن الإنسان مجبور على فعلة لاحول له ولا قوة، ورأوا أن إبقاءهم على الكفر وعدم صرفهم عنه دليل على أن الله قد رضي الكفر منهم وإلا لحال بينهم وبينه، ومن الناس من نفى القدر، وأن الله تعالى يعلم بالأشياء قبل وقوعها ، ورأوا أن العبد يملك إرادة مستقلة في زعمهم دون إرادة الله، وهم يعلمون أنه لا يمكن أن يقع إلا ما سبق في علم الله وقوعه، فلا يمكنهم الاستقلال بأفعالهم وتصيير علم الله جهلاً، بحيث لا يقع ما سبق في علمه وقوعه في وقته المحدد له، وهذان هما مسلكا الجبرية والنفاة، أما أهل السنة والجماعة فقد سلكوا مسلكاً وسطاً بين المسلكين، وقالوا إن للعبد مشيئة وقدرة وإرادة، لكنها تحت مشيئة الله تعالى وتقديره وليست مستقلة، وأن العبد لا يستقل بأفعاله دون قدرة الله ومشيئته .

([31]) أضواء البيان: 7/ 93 بتصرف .

قال العلامة الشنقيطي –رحمه الله تعالى–: فإما شبهة المحتجين بالقضاء والقدر وهي قولهم: إن إبقاءهم على الكفر وعدم صرفهم عنه والحيلولة بينهم وبينه وعدم منعهم من الشرك دليل على رضى الله لذلك الكفر منهم وإلا لحال بينهم وبينه، يجاب عنه بأن الله صرح بكذبهم في هذه الدعوى التي ظاهرها حق، كما قال تعالى حاكيا قيلهم : ﴿ وَقَالُواْ لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُمۡۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ﴿٢٠﴾﴾ (الزخرف: ٢٠) ثم عقّب زعمهم وتخرصهم مضرباً مبيناً أن مستندهم في تلك الدعوى الكاذبة هو تقليد آبائهم التقليد الأعمى: ﴿ بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الزُّخۡرُف : ٢٢] (الزخرف 22) فقوله عنهم: (مهتدون) وهو مصب التكذيب لهم ; لأن الله إنما يرضى بالاهتداء لا بالضلال ، فالاهتداء المزعوم أساسه تقليد الآباء الأعمى، ومما عقّب به تعالى على شبهتم قوله:﴿ قُلۡ فَلِلَّهِ ٱلۡحُجَّةُ ٱلۡبَٰلِغَةُۖ فَلَوۡ شَآءَ لَهَدَىٰكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ (الأنعام: 149) فملكه – تعالى – وحده للتوفيق والهداية، هو الحجة البالغة على خلقه، يعني فمن هديناه وتفضلنا عليه بالتوفيق، فهو فضل منا ورحمة، ومن لم نفعل له ذلك فهو عدل منا وحكمة(1).

قلت وحاصله: أنه تبارك وتعالى – قدّر مقادير الخلق قبل أن يخلق الخلق، وعلم أن قوما صائرون إلى الشقاء وقوما صائرون إلى السعادة، فريق في الجنة وفريق في السعير، وأقام الحجة على الجميع ببعث الرسل وتأييدهم بالمعجزات التي لا تترك في الحق لبسا، ثم إنه تعالى وفق من شاء توفيقه، ولم يوفق من سبق لهم في علمه الشقاء الأزلي، وخلق لكل واحد منهم قدرة وإرادة يقدر بها على تحصيل الخير والشر، وصرف قدرتهم وإراداتهم بقدرته وإرادته إلى ما سبق لهم في علمه من أعمال الخير المستوجبة للسعادة، وأعمال الشر المستوجبة للشقاء ، فاتوا كل ما أتوا وفعلوا كل ما فعلوا، طائعين مختارين، غير مجبورين ولا مقهورين ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ (الإنسان: 30).

وأما ادعاء الجبرية أن العبد مجبور لا إرادة له فهو ضروري السقوط عند عامة العقلاء ، فإنك لو ضربت من يدعي أن الخلق مجبورون، وفقأت عينه مثلا ، فقلت له: أنا مجبور ولا إرادة لي في هذا السوء الذي فعلته بك، بل هو فعل الله، وأنا لا دخل لي فيه، فإنه لا يقبل منك هذه الدعوى بلا شك، قائلا إن هذا بإرادتك ومشيئتك.

وأما القدرية فمن أعظم الأدلة القطعية الدالة على بطلان مذهبهم، وأن العبد لا يستقل بأفعاله دون قدرة الله ومشيئته – أنه لا يمكن أحدا أن ينكر علم الله بكل شيء قبل وقوعه، والآيات

والأحاديث الدالة على هذا لا ينكرها إلا مكابر، وسبق علم الله بما يقع من العبد قبل وقوعه برهان قاطع على بطلان تلك الدعوى ،كما قال – تعالى –: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ)، إذ خلق الله تعالى قدرة للعبد، ولا إشكال البتة في أن الله يخلق للعبد قدرة وإرادة يقدر بها على الفعل والترك، ثم يصرف الله بقدرته وإرادته قدرة العبد وإرادته إلى ما سبق به علمه، فيأتيه العبد طائعاً مختاراً غير مقهور ولا مجبور، وغير مستقل به دون قدرة الله وإرادته، كما قال تعالى: (وَمَا تَشَاؤُونَ إِلاَّ أَن يَشَاء اللَّهُ).

وفي هذا السياق قد نقل الشنقيطي –رحمه الله تعالى– أيضاً مناظرة بين أبي إسحاق الإسفراييني وعبد الجبار المعتزلي توضح ذلك: وهي أن عبد الجبار قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء، يعني أن السرقة والزنا ليسا بمشيئة الله; فقال أبو إسحاق: كلمة حق أريد بها باطل، ثم قال –رحمه الله–: سبحان من لم يقع في ملكه إلا ما يشاء، فقال عبد الجبار: أتراه يشاؤه ويعاقبني عليه.

فقال أبو إسحاق: أتراك تفعله جبرا عليه، أأنت الرب وهو العبد؟ فقال عبد الجبار: أرأيت إن دعاني إلى الهدى، وقضى علي بالرديء، دعاني وسد الباب دوني؟ أتراه أحسن أم أساء؟ فقال أبو إسحاق: أرى أن هذا الذي منعك إن كان حقا واجبا لك عليه – فقد ظلمك وقد أساء إليك تعالى سبحانه عن ذلك علوا كبيرا، وإن كان ملكه المحض فإن أعطاك ففضل، وإن منعك فعدل ، فبهت عبد الجبار، وقال الحاضرون: والله ما لهذا جواب، وخلاصة جواب أبي إسحاق –رحمه الله– الذي أفحم به عبد الجبار، هو معنى قوله –تعالى–: (قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين)([32]).

([32]) انظر: أضواء البيان: 93/7 بتصرف.

المبحث الثالث

المسائل الخلافية في السورة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الخلاف في المراد بتكوير الشمس

جاءت أقوال للمفسرين في المراد بتكوير الشمس، قال ابن عباس: إدخالها في العرش ، وقال مجاهد وقتادة والحسن: ذهاب ضوؤها، ولم يذكر غيره الفراء والواحدي، وقال أبو عبيدة : مثل تكوير العمامة، تلفّ فتمحى، وقال الربيع بن خثيم: رمى بها، ومنه: كورته فتكور، وقال أبو صالح: نكست، حكى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قَالَ أظلمت ، وعن مجاهد: اضمحلت، وقيل: غُورت ، وقيل: يلف بعضها ببعض ويرمي بها في البحر. ، وقال القرطبي: من كار العمامة على رأسه يكورها، أي لاثها وجمعها، فهي تكور، ثم يمحي ضوؤها، ثم يرمي بها. حكى هذه الأقوال الطبري وتبعة جمع من المفسرين كأبي حيان وغيره.

ثم قال الطبري–رحمه الله–: والتكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس، وكتكوير الكارة، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت فَرُمِي بها، وإذا فعل ذلك بها ذهب ضوؤها، قلت : إذا فكل ما قدمته عن المفسرين له وجه صحيح، وذلك أنها إذا كُوِّرت ورُمي بها، ذهب ضوؤها، وما قاله الطبري –رحمه الله– هو ما عليه أهل اللغة في معنى التكوير ، قال ابن فارس: (كَوَرَ) الْكَافُ وَالْوَاوُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى دَوْرٍ وَتَجَمُّعٍ ، يُقَالُ كَارَ يَكُورُ، إِذَا دَارَ، وَكَوْرُ الْعِمَامَةِ: دَوْرُهَا. ، وَيُقَالُ طَعَنَهُ فَكَوَّرَهُ، إِذَا أَلْقَاهُ مُجْتَمِعًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) (التكوير: 1)، كَأَنَّهَا جُمِعَتْ جَمْعًا،([33]).

([33]) معجم مقاييس اللغة كور 5/ 146, وانظر نحوه في الصحاح , وتاج العروس (كور) . والعلم عند الله تعالى , وانظر: تفسير الطبري تحقيق أحمد شاكر 291/14, والصحاح (لوث) 291/1) والعلم عند الله تعالى

المطلب الثاني: الخلاف في حشر الدواب

جلة المفسرين على أن المراد بالحشر في هذه الآية (حشرت): حشر الآخرة بعد البعث، والمراد بالوحوش هنا الوحوش المفترسة كالأسد والفهد ،أي دواب البر المتوحشة التي لا تأنس بأحد حتى يظن أنه لا عبرة بها ولا التفات إليها، فما ظنك بغيرها، فقوله {حشرت}: أي بعثت وجمعت من كل أوب قهراً لإرادة العرض على الملك الأعظم والفصل فيما بينها في أنفسها حتى يقتص للجماء من القرناء وبينها وبين غيرها أيضاً، ولا يستوحش الوحش من الناس ولا الناس من الوحوش من شدة الأهوال، وذلك أهول وأفزع وأخوف وأفظع.

أما المراد بحشر الدواب: فقد اختلف المفسرون في المراد بحشر الوحوش وسائر الدواب غير بني آدم ، ومحصلة ما ورد عنهم قولان: قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى–: أهل التأويل اختلفوا في معنى" الحشر" الوارد في قوله تعالى ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ﴾ (الأنعام: 38)، على قولين:

القول الأول: فقال بعضهم: "حشرها"، موتها ، قال ابن عباس: موت البهائم حشرها، وهو قول الضحاك، قالوا لأن الدواب لا تكليف عليها ولا ترجو ثواباً ولا تخاف عقاباً ولا تفهم خطاباً، ومَن ذهب هذا المذهب تأول حديث أبي هريرة (يأخذَ للجمَّاء من القَرْناء)([34]) على معنى التمثيل في الحساب والقصاص حتى يفهم كل مكلف أنه لا بد له منه ولا محيص وأنه العدل المحض ([35]).

القول الثاني: قال آخرون: "الحشر" في هذا الموضع، يعني به الجمعُ لبعث الساعة وقيام القيامة ، عن أبي هريرة في قوله:" ثم إلى ربهم يحشرون" قال: يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة، البهائمَ والدوابَّ والطيرَ وكل شيء، فيبلغ من عدل الله يومئذ أن يأخذَ للجمَّاء من القَرْناء، ثم يقول:"كوني ترابًا"، فلذلك يقول الكافر:﴿ .... وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠﴾ (النبأ: 40)، وعامة المفسرين على هذا القول، أي حشر القيامة، فقد مال إليه ابن عطية وابن كثير، والقرطبي، وأبو حيان، وابن عادل،

([34]) رواه الحاكم في المستدرك 2/ 315 (3231) وقال على شرط مسلم وأحمد مختصرا 1/ 542(520), ولفظه عند الإمام مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ» باب تحريم للظلم (15) 4/ 1997 .

([35]) البحر المحيط: 415/10.

وأبو السعود،وغيرهم من المتأخرين كالشوكاني، والقاسمي ولم يذكر غيره البقاعي، ومما يترجح به أن ما قيل إن حشرُها الدواب موتها يأباه مقامُ تهويل الخطب وتفظيع الحال كما قاله أبو السعود وتبعه القاسمي، قال القرطبي: وهو أصح لظاهر الآية والخبر الصحيح([36]).

وقال أبو حيان قوله: (ثم إلى ربهم يحشرون) الظاهر في الضمير أنه عائد على ما تقدم وهو الأمم كلها من الطير والدواب، أما الإمام أبو جعفر الطبري –رحمه الله– تعالى فقد رجح الاحتمالين، قال: والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ كل دابة وطائر محشورٌ إليه، وجائز أن يكون معنيًّا بذلك حشر القيامة، وجائز أن يكون معنيًّا به حشر الموت، وجائز أن يكون معنيًّا به الحشران جميعًا، ولا دلالة في ظاهر التنزيل، ولا في خبر عن النبي ﷺ أيُّ ذلك المراد بقوله: "ثم إلى ربهم يحشرون"، إذ كان "الحشر"، في كلام العرب مطلق الجمع.

الراجح من القولين:

قلت: وأنت ترى أن الإمام الطبري –رحمه الله– قد رجح احتمال الأمرين جميعاً، ولكن في الحقيقة المدلول اللغوي لمعنى الحشر في اللغة يرجح كفة القول الثاني، قال ابن فارس: وأهل اللغة يقولون: الحشر: الجمع مع سوق([37])، ولعل مما يرجح القول الثاني أيضاً وهو أن المراد حشر القيامة مقام التهويل الذي هو مساق الآيات، وكذلك يرجحه التأكيد على مبدأ العدل للبارئ سبحانه وتعالى في الفصل بين خلقه، قال أبو حيان –رحمه الله، والظاهر أنه يراد به البعث يوم القيامة وهو قول الجمهور، فتحشر البهائم والدواب والطير، والخلق كلهم يوم القيامة وكل شيء، فيبلغ من عدل الله عز وجل يومئذ أن يأخذ للجماء من القرناء ثم يقول: كوني تراباً) فذلك قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾ [النَّبَأ : ٤٠] ([38]).

([36]) انظر: الجامع لأحكام القرآن: 19/ 229. , والمحرر الوجيز: 441/5 وتفسير ابن كثير: 329/8, والبحر المحيط: 415/10 وإرشاد العقل السليم: 214/9 وفتح القدير: 5/ 470, ومحاسن التأويل: 9/ 412, ونظم الدرر: 21/ 278.

([37]) مقاييس اللغة: (حشر) 2/ 66.

([38]) تفسير ابن أبي حاتم 10/ 3403, وفتح القدير 5/ 114.

المطلب الثالث: الخلاف في المراد بتسجير البحار

اختلف المفسرون في المراد بتسجير البحار المشار إليه هنا وفي بداية سورة الطور، في قوله: ﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ٦﴾ (الطور: 6)، على أقوال متعددة خلاصتها ما يلي:

القول الأول: معنى (سُجّرت) أي: تأججت نارا، وهو المحكي عن أبي بن كعب، وعلي بن أبي طالب بنحوه، وابن عباس، وابن زيد وشمر بن عطية، وسفيان، ولم يذكر غيره ابن أبي حاتم وهو ما بدأ به الشوكاني ورجحه(4).

القول الثاني: ملئت بتفجير بعضها إلى بعض، حتى تعود بحراً واحداً من قولهم:سَجَرَ التنور، إذا ملأه بالحطب، كقوله: ﴿ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَت ٣﴾ (الانفطار:3)، وهو المحكي عن مُجَاهِدٌ وَالْكَلْبِيُّ وقتادة، كما حكاه البغوي وأبو حيان ، قالوا: "الْمَسْجُورُ": الْمَمْلُوءُ، وهو من قولهم : سَجَّرْتُ الْإِنَاءَ إِذَا مَلَأْتُهُ، وهو ما رجحه الإمام الطبري –رحمه الله تعالى– قائلاً : معنى ذلك: مُلئت حتى فاضت، فانفجرت وسالت كما وصفها الله به في الموضع الآخر، فقال: "وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ"، والعرب تقول للنهر أو للرَّكيّ المملوء ماءً : مسجور؛ ومنه قول لبيد:

فَتَوَسَّطا عُرْضَ السَّرِيّ وَصَدَّعا ... مَسْجُورَةً مُتَجاوِرًا قُلامُها

ويعني بالمسجورة: المملوءة ماء([39]) ، وقد بدأ به غير واحد من المفسرين.

القول الثالث: البحر المسجور : الذي ذهب ماؤه ، وهو المحكي عن ابن عباس وقتادة والحسن كما في البحر المحيط([40]):، وقال في البحر : خرجت أمة لتستقي، فقالوا: إن الحوض مسجور: أي فارغ، فيكون من الأضداد، ويروى أن البحار يذهب ماؤها يوم القيامة.

القول الرابع: قال ابن عباس أيضاً : المسجور: المحبوس، ومنه ساجور الكلب، وهي القلادة من عود أو حديد تمسكه، ولولا أن البحر يُمسك، لفاض على الأرض.

القول الخامس: قال الربيع: المسجور: المختلط العذب بالملح، وقيل: المفجور، ويدل عليه: (وإذا البحار فجرت)، والجمهور: على أن البحر المقسم به –أي في سورة الطور – هو بحر الدنيا، ويتأيد

([39]) تفسير الطبري: 24 /244.

([40]) البحر المحيط: 9 / 567.

بقوله: (وإذا البحار سجرت)، وعن علي وابن عمر: أنه في السماء تحت العرش فيه ماء غليظ يقال له بحر الحياة، يمطر العباد منه بعد النفخة الأولى أربعين صباحاً، فينبتون في قبورهم.

وقال قتيبة بن سعيد: هو جهنم، وسماها بحراً لسعتها وتموجها. كما جاء في الفرس: وإن وجدناه لبحرا([41]).

وقال البغوي: رُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الْبِحَارَ كُلَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَارًا فَيُزَادُ بِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: "وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ"، كما جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "لَا يَرْكَبَنَّ رَجُلٌ بَحْرًا إِلَّا غَازِيًا أَوْ مُعْتَمِرًا أَوْ حَاجًّا، فَإِنَّ تَحْتَ الْبَحْرِ نَارًا وَتَحْتَ النَّارِ بَحْرًا"([42]).

وقال الشوكاني: وقيل إنه من أسماء الأضداد، يقال: بحر مسجور، أي: مملوء، وبحر مسجور، أي: فارغ، وقيل: المسجور: الممسوك، ومنه ساجور الكلب، لأنه يمسكه. والأول أولى ، وبه قال مجاهد والضحاك ومحمد بن كعب والأخفش وغيرهم([43]).

وقال القاسمي قوله:(وَإِذَا الْبِحارُ سُجِّرَتْ)، قال القفال: يحتمل أن تكون جهنم في قعور البحار، فهي الآن غير مسجورة لقوام الدنيا، فإذا انتهت مدة الدنيا، أوصل الله تأثير تلك النيران إلى البحار، فصارت بالكلية مسجورة بسبب ذلك، وأوضحه الإمام بقوله: وقد يكون تسجيرها إضرامها ناراً، فإن ما في بطن الأرض من النار يظهر إذ ذاك بتشققها وتمزق طبقاتها العليا، أما الماء فيذهب عند ذلك بخارا ولا يبقى في البحار إلا النار، أما كون باطن الأرض يحتوي على نار فقد ورد به بعض الأخبار، ورد أن البحر غطاء جهنم، وإن لم يعرف صحيحها ولكن البحث العلميّ أثبت ذلك، ويشهد عليه غليان البراكين وهي جبال النار ، وأيده المراغي بقوله : والمسجور أي الموقد المحمى، من سجر النار أي أوقدها وعنى به باطن الأرض وهو الذي دل عليه الكشف الحديث ولم تعرفه الأمم قديماً، وقد أشارت إليه الأحاديث، وقد أثبته علماء طبقات الأرض (الجيولوجيا)، ومن حين إلى آخر تتصاعد من ذلك البحر نار تظهر في الزلازل والبراكين كبركان فيزوف الذي هاج بإيطاليا سنة 1909م وابتلع مدينة مسّينا، والزلزلة التي حدثت باليابان سنة 1925م وخربت مدنا بأكملها([44]).

([41]) المحرر الوجيز: 5/ 443.

([42]) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، باب ركوب البحر لحج أو عمرة، حديث رقم (8924) 4/334.

([43]) فتح القدير: 5/ 94.

([44]) تفسير المراغي: 30/ 59.

وبعد : فهذه جملة الأقوال والمناقشات والإيضاحات التي وردت عن المفسرين في المراد ب (المسجور)، ومجمل ما ورد عن أهل اللغة في معنى : المِسْجُورُ ، أنه الموقَدُ ، والفَارِغُ، والساجِرُ والمِسْجُور، والسَّاكِنُ ، والممتلئ، مَعًا، والمِسْجُورُ: البحر الذي ماؤُه أَكثرُ مِنْهُ ، والمِسْجُور فِي كَلَام الْعَرَب: المِمْلُوءُ، وَقد سَكَرْتُ الإِنَاءَ وسَجَرْتُه، إِذا مَلأْتَه، وقال بعضهم : وَلَا يَبعُدُ الْجَمِيع ، بناءً على جَوازِ اسْتِعْمَال المِشْتَرَك فِي أحد معانِيه، وَهُوَ مَذْهَب الجُمْهُور.. كما تقدم في شرح الغريب، ولما لم يكن بحسب المدلول اللغوي ما يرجح أحد الأقوال المتقدمة عن أهل التفسير، ورغم أن الإمام الطبري –رحمه الله– تعالى رجح أن سُجّرت : أي مُلئت حتى فاضت، لكنني أرى والعلم عند الله أن الأقرب إلى تفسير المسجور أنه الموقد ناراً، وهو ما عليه الجمهور وهو ما بدأت به كما تقدم ، وذلك بدلالة المقام، فإنه مقام تهويل وتعظيم وعرض لما يقع من مقدمات مفزعة قبل العرض والحساب والله تعالى أعلم وأحكم.

المطلب الرابع : الخلاف في المراد بالخُنس الجوار الكُنس

حكى الإمام الطبري رحمه الله جملة ما ورد عن مفسري السلف في المراد (بالخنس الجوار الكنس) ، فعن علي رضي الله عنه هي الكواكب، وعن الحسن ومجاهد وقتادة وابن زيد هي النجوم ، وعن ابن مسعود وابن زيد ومجاهد في رواية قالوا: بقر الوحش، وعن ابن عباس وابن جبير: قالوا الظباء ، وتعقب ذلك الطبري مرجحا العموم، وأن كل ذلك يصح في العربية قائلا : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بأشياء تخنس أحياناً: أي تغيب، وتجري أحيانا وتكنس أخرى ، وغير مُنكر أن يستعار ذلك في المواضع التي تكون بها النجوم من السماء، فإذا كان ذلك كذلك، ولم يكن في الآية دلالة على أن المراد بذلك النجوم دون البقر، ولا البقر دون الظباء، فالصواب أن يُعَمّ بذلك كلّ ما كانت صفته الخنوس أحيانا والجري أخرى([45]).

بينما الذي عليه غالب المفسرين أن المراد الكواكب العلوية أو النجوم ، قال الزجاج ، وعليه الأكثر([46]).

وقال ابن عطية : أقسم الله تعالى بِالْخُنَّسِ الْجَوارِ الْكُنَّسِ ، فقال جمهور المفسرين: إن ذلك الدراري، وذلك أن هذه الكواكب تخنس في جريها ، أي تتقهقر فيما ترى العين، وهي جوار في السماء، وهي

([45]) **جامع البيان: 24/ 255.**

([46]) **معاني القرآن: 5/291.**

تكنس في أبراجها أي تستتر، ([47])، قال ابن عادل في اللباب : وهو الأظهر لذكر الليل والصبح بعده.

قلت: وإن كان ما ذكره الطبري يصح باعتبار الخنوس أحيانا والجري أحياناً، لكن حمل ذلك على الكواكب العلوية والنجوم أراه أولى في الدلالة على القدرة الإلهية، ومن ثم فعلة القسم بهذه الدراري لينوه سبحانه بشأنها من جهة ما في حركاتها من الدلائل على قدرة مصرّفها ومقدّرها، وإرشاد تلك الحركات إلى ما في كونها من بديع الصنع وإحكام النظام، مع نعتها، في القسم، بما يبعدها عن مراتب الألوهية، من الخنوس والكنوس، تقريعاً لمن خصها بالعبادة واتخذها من دونه أربابا ، والله تعالى أعلم([48]).

المطلب الخامس: الخلاف في قوله تعالى (بضنين)

للمفسرين رحمهم الله تعالى قولان في معنى قوله تعالى: (بضنين)، قال الإمام الطبري –رحمه الله تعالى–: اختلفت القرّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قرّاء المدينة والكوفة (بِضَنِينٍ) بالضاد، بمعنى أنه غير بخيل عليهم بتعليمهم ما علَّمه الله، وأنزل إليه من كتابه ، وقرأ ذلك بعض المكيين وبعض البصريين وبعض الكوفيين (بِظَنِينٍ) بالظاء، بمعنى أنه غير متهم فيما يخبرهم عن الله من الأنباء([49]).

ثم أسند الطبري –رحمه الله– القول الأول أي وما هو على الغيب ببخيل عن مجاهد و إبراهيم وزِرّ وقتادة وابن زيد، بعبارات متقاربة وأسند عن ابن عباس، وسعيد بن جُبير وإبراهيم وقتادة والضحاك قالوا: الظَّنين: المتهم، وهو القول الثاني، قوله: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ) قال قتادة: إن هذا القرآن غيب، فأعطاه الله محمداً، فبذله وعلَّمه ودعا إليه، والله ما ضنّ به رسول الله ﷺ على أحد من الناس بل أدّاه وبلَّغه، وحكى الطبري قولاً ثالثاً، بقوله : وقد تأوّل ذلك بعض أهل العربية أن معناه: وما هو على الغيب بضعيف، ولكنه محتمِل له مطيق، ووجهه إلى قول العرب للرجل الضعيف: هو ظَنُون ، ثم رجح رحمه الله قراءة الضاد قائلا : وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: ما عليه خطوط مصاحف المسلمين متفقة، وإن اختلفت قراءتهم به، وذلك (بِضَنِينٍ) بالضاد، لأن ذلك كله كذلك في خطوطها.

([47]) المحرر 5/ 443, ولم يذكر غيره ابن عادل 20/ 187, والشوكاني: 5/ 472, والقاسمي 9/ 418 , والمراغي 30/ 59.

([48]) ذكره القاسمي رحمه الله تعالى عن الإمام 418/9.

([49]) انظر: المبسوط في القراءات العشر 464.

فإذا كان ذلك كذلك، فأولى التأويلين بالصواب في ذلك: تأويل من تأوّله: وما محمد على ما علَّمه الله من وحيه وتنزيله ببخيل بتعليمكموه أيها الناس، بل هو حريص على أن تؤمنوا به وتتعلَّموه([50]).

قلت: اعلم رحمك الله أن مبنى هذا الخلاف هو اختلاف القراء في قراءة ضنين كما تقدم في ثنايا كلام الطبري ، فمنهم من قرأها بالظاء، ومنهم من قرأها بالضاد،، وقد زاد أبو حيان رحمه الله تعالى على ما ذكره الطبري قائلاً : وقرأ عبد الله وابن عباس وزيد بن ثابت وابن عمر وابن الزبير وعائشة وعمر بن عبد العزيز وابن جبير وعروة وهشام بن جندب ومجاهد وغيرهم، ومن السبعة النحويان وابن كثير: (بظنين بالظاء)، أي بمتهم، وهذا نظير الوصف السابق ب (أمين)، وقرأ عثمان وابن عباس أيضا والحسن وأبو رجاء والأعرج وأبو جعفر وشيبة وجماعة غيرهم وباقي السبعة: بالضاد، أي ببخيل يشح به لا يبلغ ما قيل له ويبخل، كما يفعل الكاهن حتى يعطى حلوانه([51])، وقال ابن كثير –رحمه الله تعالى–: وكلتا القراءتين متواترة ومعناها صحيح([52]).

بينما مال بعضهم إلى ترجيح قراءة الظاء، قال الخازن –رحمه الله تعالى–: وقراءة الظاء أولى لأنهم لم يبخلوه، وإنما اتهموه، فنفى الله عنه تلك التهمة، ولو أراد البخل لقال وما هو بالغيب،([53]) وقال القاسمي: واختار أبو عبيدة القراءة بالظاء لوجهين:

أحدهما: أن الكفار لم يبخلوه، وإنما اتهموه، فنفي التهمة أولى من نفي البخل.

وثانيهما: قوله: (عَلَى الْغَيْبِ)، ولو كان المراد البخل لقال (بالغيب)؛ لأنه يقال فلان ضنين بكذا، وقلما يقال على كذا.

قال في (النشر): (399/2): هو بالضاد في جميع المصاحف، ولا ينافي هذا قول أبي عبيدة، إن الضاد هي الظاء في الخط القديم لا يختلفان إلا بزيادة رأس إحداهما على الأخرى، زيادة يسيرة، قد تشتبه، وهو كما قال، ويعرفه من قرأ الخط المسند ، وليس فيه اتهام لنقلة المصاحف كما تُوهم، لأن ما نقلوه موافق

([50]) **جامع البيان: 262/24.**

([51]) **انظر البحر المحيط: 10/ 419.**

([52]) **تفسير ابن كثير: 8/ 339.**

([53]) **لباب التأويل: 4 / 399.**

للقراءة المتواترة، ولا بد مما ذكره أبو عبيدة، لأنهم اشترطوا في القراءات موافقة الرسم العثمانيّ، ولولاه كانت قراءة الظاء مخالفة له([54]).

وبعد: فالذي يظهر لي والعلم عند الله تعالى أن نفي التهمة عنه ﷺ بكتم شيء من الوحي أولى من نفي البخل عنه ، وذلك أن إثارة الشبه حول الوحي أمر دأب عليه المعارضون، فما فتئوا يكيلون المطاعن ضد الوحي فمره يقولون عنه سحر ومرة يقولون إنما تعلمه من غيره وأملاه عليه بشر ، وغير ذلك ، فمن باب أولى إذا اتهامهم له بكتمه وعدم بيانه للناس ، فبرأ الله تعالى ساحة نبيه من سائر ما افتروه عليه. والله تعالى أعلم .

الخاتمة:

من خلال هذا البحث توصلت إلى عدة نتائج، من أهمها ما يلي:

1) سورة التكوير مع وجازتها وقلة آياتها فإنها قد تضمنت خلاصة قيمة لمجمل القضايا التي جاءت متفرقة في سور وآيات الكتاب العزيز، ومن ذلك التأكيد على قدرة الله تعالى الباهرة بتغيير ملامح الكون، ووقوع القيامة بلا ريب.
2) الثناء على رسولي الوحي عليهما السلام، ورد المطاعن عنهما، مع المزج بين الثناء عليهما والدفاع عنهما .
3) سبب المبالغة في الثناء على جبريل عليه السلام إنما كان للتأكيد من تمكينه من حفظ ما أُرسل به، وصيانته عن التغيير والتبديل، فهو في كمال العقل وقوة الإدراك، وأثبت له اللقيا بنبينا محمدﷺ، فلم يلتبس عليه جبريل بغيره، وفي هذا ثناء على سند القرآن، وأنه في أعلى الدرجات.
4) نفي التهمة عن القرآن الكريم، وإثبات أنه كلام الله كلام رب العالمين بتعديل حامليه عليهما السلام، وأنهما في قمة الكمال والجلال.
5) بيان مهمة النبي ﷺ وهي البلاغ والإنذار والتخويف ، وليس هداية البشر فإن ذلك بيد الله وحده.

([54]) انظره في القاسمي 421/9، ونقله عن الشهاب, وانظر: مجاز القرآن 288/2 بنحوه مختصراً.

6) القول الفصل في المشيئة، وقد هدى بفضله تعالى أهل السنة والجماعة فيها إلى سلوك طريق وسط بين القدرية المحتجين بالقدر على معائبهم وإبقائهم على الكفر، وبين الجبرية النفاة الذين ينفون سبق علم الله لأفعال العبد قبل وقوعها، أما أهل السنة والجماعة فقد سلكوا مسلكاً وسطاً بين المسلكين، وقالوا إن للعبد مشيئة وقدرة وإرادة لكنها تحت مشيئة الله تعالى وتقديره، وليست مستقلة دون قدرة الله ومشيئته.

7) الراجح في المراد بحشر الدواب هو بعثها يوم القيامة للقصاص فيما بين بعضها البعض.

8) الراجح في المراد بتسجير البحار هو إيقادها ناراً.

9) الراجح في المنفي عن نبينا محمد ﷺ بقوله: (وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ)، هو نفي التهمة عنه بكتم شيء من الوحي.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، ترتيب: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي (المتوفى: 739 هـ)
2) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (المتوفى: 982هـ)،
3) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن؛ لمحمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر، بيروت،1953م.
4) أنوار التنزيل وأسرار التأويل .ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (المتوفى: 685هـ) المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي.
5) تاج العروس من جواهر القاموس لمرتضى الزَّبيدي (المتوفى: 1205هـ)
6) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد» ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : 1393هـ) الناشر : الدار التونسية للنشر – تونس.
7) تفسير ابن المنذر / أبو بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري حققه وعلق عليه د: سعد بن محمد السعد دار النشر: دار المآثر – المدينة النبوية.
8) تفسير البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان، الشهير بأبي حيان، طبع دار الفكر بيروت 1420هـ.
9) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية، 1999م.
10)تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم ، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم (المتوفى: 327هـ)
11)تفسير المراغي المؤلف: أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: 1371هـ)الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر الطبعة: الأولى، 1365 هـ - 1946م.
12) التفسير الكبير لفخر الدين الراوي، دار الكتب العلمية، بيروت.

13)تقريب التهذيب؛ لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط: الأولى، 1406هـ– 1986م.
14)تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان لعبدالرحمن السعدي، ط مؤسسة الرسالة. 1420هـ.
15)جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمود محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة.
16)الجامع الكبير = سنن الترمذي؛ لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط: الأولى، 1996م.
17)الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي القرطبي، دار الفكر، سوريا، بدون تاريخ.
18)الدر المنثور في التفسير بالمأثور؛ لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مركز هجر للدراسات العربية والإسلامية، 2003م.
19)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (المتوفى: 1270هـ)
20)زاد المسير في علم التفسير؛ لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، المكتب الإسلامي.
21)سنن أبي داود ، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد.
22)السنن الكبرى ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى، أبو بكر البيهقي (المتوفى: 458هـ)المحقق: محمد عبد القادر عطا.
23)سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: 279هـ)
24)سنن النسائي الكبرى، لأحمد بن شعيب النسائي؛ تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، مؤسسة الرسالة، 1421 – 2001م.
25)سير أعلام النبلاء، لمحمد بن أحمد الذهبي، مؤسسة الرسالة، 2001م.

26)السيرة النبوية ؛ لعبد الملك بن هشام ، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي.
27)الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري ، ت: أحمد عبد الغفور عطار.
28)صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان؛ لأبي حاتم محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي.
29) سنن الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:الثانية، 1993.
30)شرح السنة ، الحسين بن مسعود بن محمد بن البغوي ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد الشاويش.
31)صحيح البخاري؛ لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط: الأولى، 1422هـ.
32)طبقات المفسرين؛ لمحمد بن علي بن أحمد الداوودي المالكي، تحقيق: لجنة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت.
33)فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، 1379هـ.
34)فتح القدير ، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: 1250هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب – دمشق، بيروت.
35)القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (المتوفى: 817هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة.
36)الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: 538هـ)دار الكتاب العربي – بيروت.
37)لباب التأويل في معاني التنزيل، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن (المتوفى: 741هـ)

38)اللباب في علوم الكتاب لأبي حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني (المتوفى: 775هـ) ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

39)مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي البصري، تحقيق: محمد فواد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1381هـ.

40)محاسن التأويل لمحمد جمال الدين القاسمي ، المحقق: محمد باسل عيون السود الناشر: دار الكتب العلمية –ط 1

41)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز؛ لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي، تحقيق: مجموعة من المحققين، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، قطر، ط: الثانية، 2007م.

42)المخصص ،أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، دار إحياء التراث العربي – بيروت 1417هـ 1996م .

43)المستدرك على الصحيحين .أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الكتاب.

44)مسند الإمام أحمد : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: 241هـ)المحقق: شعيب الأرناؤوط – عادل مرشد، وآخرون.

45)مسند أبي يعلى؛ للإمام أبي يعلى أحمد بن علي بن المثُنى التميمي، الموصلي تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط: الأولى، 1984م.

46)مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بالبزار، تحقيق: مجموعة من المحققين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: الأولى، (بدأت 1988م، وانتهت 2009م).

47)المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم= صحيح مسلم، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

48) معالم التنزيل، للإمام أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي، تحقيق: محمد عبد الله النمر وآخرين، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط: الأولى، 1989م.

49)معاني القرآن وإعرابه؛ لأبي إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، دار عالم الكتب – بيروت، ط: الأولى، 1988م.

50)معاني القرآن ، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء (المتوفى: 207هـ)

51)المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة تحقيق(إبراهيم مصطفى / أحمد الزيات / حامد عبد القادر / محمد النجار)

52)معجم البلدان؛ لشهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، ط: الثانية، 1995م.

53)المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: 360هـ) ، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي.

54)معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1979م.

55)المغازي؛ لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي الواقدي، تحقيق: مارسدن جونس، دار الأعلمي – بيروت، ط: الثالثة – 1409هـ- 1989م.

56) النشر في القراءات العشر لابن الجزري، دار الفكر، عناية علي محمد الضباع.

57)نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي (المتوفى: 885هـ) الناشر: دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

58)النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات المبارك بن محمد بن الشيباني الجزري ابن الأثير، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، 1979م.